مخارج الأصوات وصفاتها

بين القدماء والمحدثين

م ٠د. تحسين فاضل عباس

جامعة الكوفة/ كلية الآداب

الملخص:

لقد كان للخليل الأثر الكبير في فكر من جاء بعده،وهو أمر أدى إلى حدوث الاختلاف بين العلماء في عدد المخارج، ومحور هذا الاختلاف هو مخرج الحروف الجوفية(الهوائية)، وهي(الألف، الواو، الياء)، فيرى الخليل ومن تبعه أن لها مخرجا مستقلا، وبذلك يكون عدد مخارج الحروف عنده سبعة عشر مخرجا.

وسار سيبويه على خطى شيخه الخليل، فعنده المخارج ستة عشر، بإسقاط مخرج الحروف الجوفية، فجعل مخرج(الألف) من أقصى الحلق، و(الواو المدية) من مخرج الواو المتحركة من الشفتين،و(الياء المدية) من مخرج الياء المتحركة من وسط اللسان.

وأقرّه كثير من العلماء، وخالف ذلك الفراء،وقطرب، وابن كيسان، في أمرين، أولهما: أن مخرج اللام والنون والراء واحد، وثانيهما: أن عدد المخارج عندهم أربعة عشر.

وحصل الاختلاف في عدد المخارج الصوتية عند المحدثين، فمنهم من جعلها تسعة، والبعض جعلها أحد عشر، وعند البعض الآخر عشرة: شفتاني، شفوي أسناني، أسناني، لثوي، التوائي، غاري، طبقي، لهوي، حلقي، وحنجري، وهو أرجح الآراء التي قال بها المحدثون.

ويعزى ذلك الاختلاف بين القدماء والمحدثين إلى احتمال حدوث تطور من نوع ما للأصوات العربية، من حيث مواضع نطقها منذ زمن القدماء،وفي تحديد حيز المخرج ،ومن ثم يمكن أن نغض النظر عن ذلك، لشدة التقارب والتداخل بين مخارج النطق.

أما عند القراء فهي سبعة عشر كما هي عند الخليل، وتنقسم الأصوات عندهم إ أصوات أصول، وفروع ، والثانية هي أصوات لهجية نطقت بها بعض الألسنة التابعة لقبائل العرب وهي النون الخفيفة (الخفية)، والهمزة المخففة، وألف التفخيم، وألف الإمالة، والشين التي كالجيم، والضاد التي كالزاي وبذلك تصير الحروف خمسة وثلاثين حرفا.

وصفة الصوت تحدد هويته إلى جانب مخرجه، وأبرز الصفات التي اتخذت معيارا للتفريق بين الأصوات هي: الجهر والهمس، و الأصوات المجهورة أوضح في السمع من المهموسة، ومن الأصوات المختلف فيها هي الهمزة، والقاف ، والطاء، و الأصوات الشديدة (الانفجارية)، والرخوة(الاحتكاكية)، والمتوسطة(المائعة)، ومن الأصوات المختلف عليها في صفة الشدة هي

(الجيم)، وصفة الرخاوة هي (الضاد)، وصفة المتوسطة هي(العين).

والاستطالة عند القدماء هي(ض، ش) ، وعند المحدثين (ض). ومن الصفات الأخرى: التفشي، هو صفة للشين فقط، والصفير، والقلقلة، والتكرير للراء فقط، والانحراف صفة اختصت بها(اللام)، ومنهم من أضاف إليها (الراء). وبيّنا عدم دقة هذه الإضافة بأن العقبة الموجودة مع اللام ليست كذلك مع الراء. والإطباق والانفتاح، والعوامل المشتركة التي تجمع هذه الأصوات هو اتحاد المخرج، والشدة(الانفجار).

والاستعلاء والتسفل، الذي جمعها وقربها هو التفخيم الصوتي والقوة. والمهتوت، اختص به (الهاء)، وأضاف بعضهم(التاء)، وهو أمر يجانب الدقة لاختلاف الصوتين، فالصوت الأول من الأصوات الضعيفة والخفية، أما الآخر فهو صوت انفجاري قوي.

مخارج الحروف وصفاتها:

المخرج: هو المصدر والموضع[i]، وبعض المحدثين من يسمي الموضع المجرى[ii]، فالمخرج الصوتي هو المكان الذي يصدر منه الصوت، فهو كمصدر الولادة. ولهذه ألأهمية لا تكاد تجد حقلا من حقول الدراسة اللسانية يستغني عن هذا "المبحث"؛ لكونه الأساس لفهم الظاهرة التواصلية الكبرى المعروفة بـ(اللغة).ومن بين الحقول المعرفية المهتمة باللسان الإنساني، حقل التجويد والقراءة القرآنية[iii].

لقد كان للخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ) الأثر الكبير في فكر من جاء بعده، وهوأمر أدى إلى حدوث خلاف بين علمائها في عدد المخارج ، إذ انقسم العلماء على مذهبين: مذهب أخذ بعض آرائه من المعجميين، وهم قلة، ومذهب سار على خطى النحاة، وهم الجمهور.

ومحور الخلاف هو مخرج الحروف الجوفية، أو الهوائية، التي تسمى حروف المد واللين،

وهي: الألف، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها.

فالخليل ومن تبعه يرى أن لها مخرجا مستقلا بها،وبذلك يكون عدد مخارج الحروف عنده، سبعة عشر مخرجا،((في العربية تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا ، لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف، وهي الواو، والياء، والألف اللينة، والهمزة، وسميت جوفا ؛ لأنها تخرج من الجوف ، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق ، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه، إلا الجوف))[iv].

أما سيبويه فعنده مخارج الحروف ستة عشر مخرجا، وبهذا سار على خطى الخليل، إلا أنه أسقط مخرج الحروف الجوفية، التي هي حروف المد واللين، إذ جعل مخرج(الألف) من أقصى الحلق، وجعل(الواو المدية) من مخرج الواو المتحركة من الشفتين، وجعل (الياء المدية) من مخرج الياء المتحركة من وسط اللسان[v]، إذ قال سيبويه: "ولحروف العربية ستة عشر مخرجا فللحلق منها ثلاثة:

فأقصاها مخرجا: الهمزة، والهاء، والألف.

ومن أوسط الحلق مخرج: العين، والحاء.

وأدناها مخرجا من الفم: الغين، والخاء.

الرابع: من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج:القاف.

والخامس: من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا، ومما يليه من الحنك الأعلى، مخرج الكاف.

والسادس: من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى ،مخرج: الجيم، والشين، والياء.

والسابع: من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، مخرج الضاد.

والثامن:من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، وما بينها، وبين ما يليها من الحنك الأعلى ، وما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية، مخرج اللام.

والتاسع: من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من

الحنك الأعلى، وما فويق الثنايا، مخرج :النون.

والعاشر: من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا، لانحرافه إلى اللام مخرج الراء.

والحادي عشر: من بين طرف اللسان وأصول الثنايا، مخرج: الطاء، والدال، والتاء.

والثاني عشر: مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا، مخرج:الزاي، والسين، والصاد.

والثالث عشر: مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، مخرج: الظاء، والذال، والثاء.

والرابع عشر: من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى، مخرج الفاء.

والخامس عشر: مما بين الشفتين، مخرج:الباء ، والميم، والواو.

والسادس عشر: من الخياشيم، مخرج النون الخفيفة، أي النون الساكنة(vi).

وأقرّه كثير من العلماء، قال الرضي(ت٦٨٨هـ):((وأحسن الأقوال ما ذكره سيبويه، وعليه العلماء بعده))(vii).

وذهب الفراء(ت٢٠٧هـ)، وقطرب(ت٢١٠هـ)،وابن كيسان(ت٢٩٩هـ) إلى أن مخرج اللام والنون والراء واحد، وهو طرف اللسان، وعندهم أن المخارج أربعة عشر مخرجا(viii). ورفض ابن الحاجب ذلك مصرحا:((وكل ذلك تقريب وإلا فلكل حرف مخرج على حدة))(ix).

وما ذهب إليه سيبويه(ت١٨٠هـ) والجمهور في ذلك، إنما هو على سبيل التقريب،((والتحقيق أن كلّ حرف له مخرج يخالف الآخر، وإلا لكان إياه))(x).

وهي عند ابن جني(ت٣٩٢هـ) ستة عشر مخرجا أيضا(xi)، ونلاحظ أن الترتيب القديم لمخارج الأصوات يختلف عما هو عليه عند المحدثين، فالقديم يبدأ من أقصى الحلق إلى الشفتين . ترتيب تصاعدي .، والترتيب الشائع الآن، يبدأ من الشفتين راجعا إلى الخلف حتى الحنجرة . ترتيب تنازلي ..

ومن المحدثين من جعل المخارج تسعة هي(xii):

١ـ **الأصوات الشفوية:** التي تقع بانضمام الشفتين الواحدة إلى الأخرى. مثل: الباء، والميم، والواو. وفي الواو يكون الوصف الأدق من أقصى الحنك إذ عند النطق بها يقترب

اللسان من هذا الجزء من الحنك[xiii].

٢ـ **الأصوات الشفوية الأسنانية:** وهي التي تقع بين الشفة السفلى منطبقة على الثنايا العليا مثل: الفاء.

٣ـ **الحروف التي بين الأسنان:** وهي التي تقع بوضع طرف اللسان بين الأسنان العليا والسفلى منفرجة انفراجا قليلا مثل: الذال والثاء، والظاء.

٤ـ **الأصوات الأسنانية:** وهي التي تقع بوضع طرف اللسان على الثنايا العليا أو على مغارزها مثل: التاء والدال والنون والسين والزاي.

وهي عند بعض المحدثين الأصوات الأسنانية اللثوية، وهي :التاء والدال والضاد ، والطاء، واللام، والنون[xiv].

٥. **الأصوات الأدنى حنكية:** وهي التي تقع بوضع اللسان على أدنى الحنك مثل: الكاف، والقاف، إذا كانا قبل حركتي(الكسرة) الفتحة الممالة إمالة شديدة، ونحو الشين والجيم،و(الياء واللام)؛ لأن الهواء يجري فيها على حافتي اللسان،ونحو الراء ، وتسمى الراء حرفا مكررا؛ لأن طرف اللسان ينز عند النطق بها.

وعند بعض المحدثين في هذا المخرج أصوات الخاء والغين والكاف والواو[xv].

٦ـ **الأصوات الأقصى حنكية:** وهي التي تقع بضم ظهر اللسان إلى الجزء الخلفي من الحنك نحو: الكاف والقاف التي قبل الفتحة، والضمة المنفتحة فليلا.

وعند بعض المحدثين يضم هذا المخرج: الخاء والغين والكاف، والواو[xvi].

٧ـ **الأصوات اللهوية، نسبة إلى اللهاة:** وهي التي تقع بضم ظهر اللسان إلى غشاء الحنك واللهاة،مثل: القاف والخاء والغين.

وعند بعض المحدثين يضم هذا المخرج القاف فقط[xvii].

٨ـ **الأصوات ألأدنى حلقية:** وهي التي تقع بتضييق أدنى الحلق وبانقباض جداره نحو: الحاء، والعين.

٩. **الأصوات الأقصى حلقية:** وهي التي تقع في أقصى الحلق أو بالأحرى في رأس قصبة

الرئة، وهو قادر على الانفتاح أو الانغلاق نحو الهمزة والهاء[xviii].

وعند بعض المحدثين أحد عشر مخرجا[xix] بزيادة مخرج اللثوية: وهو الراء والزاي والسين والصاد، ومخرج أصوات وسط الحنك ، وهي الياء، وبين الياء والجيم والشين قربا شديدا في المخرج ، وبعض الدارسين يسمي هذه الأصوات الثلاثة (أصوات وسط الحنك)، ويسميها العرب الأصوات الشجرية(نسبة إلى شجر الفم) .

وعند البعض الآخر المخارج عشرة: شفتاني، شفوي أسناني، أسناني، لثوي، التوائي، غاري، طبقي، لهوي، حلقي، وحنجري[xx].

وهو أرجح الآراء التي قال بها المحدثون[xxi].

ويتبين مما سبق أن الاختلاف حصل بين القدماء أنفسهم في المخارج الصوتية، وكذلك القدماء والمحدثين، وبين المحدثين أنفسهم. ويعزى ذلك إلى احتمال حدوث تطور من نوع ما للأصوات العربية، من حيث مواضع نطقها منذ زمن النحاة القدماء. ومن ثم يمكن أن نغض النظر عن مواضع الاختلاف، وذلك لشدة التقارب والتداخل بين مخارج النطق. فليس هناك حدود فاصلة فصلا تاما بين بعض هذه المخارج ، فنجد باحثا ينسب مجموعة من الأصوات إلى مخرج معين، وينسبها آخر إلى مخرج آخر قريب منه، ومتصل به ومتداخل معه[xxii]. أو ما يتعلق بوجود المختبرات الصوتية الحديثة التي ساعدت الباحثين المحدثين في دقة تحديد المخارج الصوتية.

ومخارج الحروف عند القراء سبعة عشر كما هي عند الخليل:وتنقسم الأصوات

أولاً: إلى أصوات أصول[xxiii]، ومخارجها، هي:

١. الجوف للألف والواو والياء الساكنتين بعد حركة تجانسهما.
٢. أقصى الحلق للهمزة والهاء.
٣. وسطه للعين والحاء المهملتين.
٤. أدناه للفم للغين والخاء.
٥. أقصى اللسان مما يلي الحلق وما فوقه من الحنك للقاف.
٦. أقصاه من أسفل مخرج القاف قليلاً وما يليه من الحنك للكاف.

٧. وسطه بينه وبين وسط الحنك للجيم والشين والياء.

٨. للضاد المعجمية من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر وقيل الأيمن.

٩. اللام من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى.

١٠. للنون من طرفه أسفل اللام قليلاً.

١١. للراء من مخرج النون لكنها ادخل في ظهر اللسان.

١٢. للطاء والدال والتاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعداً إلى جهة الحنك.

١٣. الحرف الصفير والصاد والسين والزاي من بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى.

١٤. للظاء والثاء والذال من بين طرفه وأطراف الثنايا العليا[xxiv].

١٥. للفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا.

١٦. للباء والميم والواو غير المدية بين الشفتين.

١٧. الخيشوم للغنة في الإدغام والنون والميم الساكنة[xxv].

ويعد المجودون والقراء أنفسهم مسؤولين عن الحفاظ على سلامة الأداء للقرآن، وذلك من خلال رصد علامة الصحة والاعتلال في سبيل التأدية والقراءة[xxvi].

ويتألف الكلام من أربعة أشياء: ((من حرف متحرك، وحرف ساكن، ومن حركة، وسكون، وذلك يرجع إلى شيئين: حرف ساكن، وحرف متحرك. فالحرف المتحرك أكثر في كلام العرب من الساكن كما أن الحركة أكثر من السكون، وإنما كان المتحرك أكثر من الساكن؛ لأنه لا تبتدئ إلا بمتحرك وقد يتصل به حرف آخر متحرك (وآخر متحرك)، وآخر بعد ذلك متحرك. ولا يجوز أن تبتدئ بساكن، ولا أن تصل ساكناً بساكن إلا أن يكون الأول حرف مد ولين، أو الثاني ساكن للوقف، فلذلك كانت الحركة أكثر من السكون[xxvii].

إن تباعد المخارج الصوتية يحقق الفصاحة اللفظية في العربية، فجاء في اللسان: والحروف المتقاربة لا تأتلف في كلمة واحدة أصلية الحروف، فقبح على ألسنة العرب اجتماع الحاء والهاء، ولكنهما يجتمعان في كلمتين لكل واحدة معنى على حدة، قال لبيد:

يتمادى في الذي قلت له ولقد يسمع قولي: حيَّ هلْ[xxviii]

ولا تأتلف العين مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما إلا أن يشتق فعل من جمع بين كلمتين مثل (حيَّ على)[xxix].

والحروف هي مقاطع تعرض للصوت الخارج مع النفس مبتدأ مستطيلاً، فتمنعه من اتصاله بغايته، فحيثما عرض ذلك المقطع سمي حرفاً. وسمي ما يسامته ويحاذيه من الحلق والفم واللسان والشفتين مخرجاً. ولذلك اختلف الصوت باختلاف المخارج واختلاف صفاتها، إذ يحصل التفاهم عن طريق ذلك الاختلاف[xxx].

ثانياً: الأصوات الفروع:

هي أصوات لهجية نطقت بها بعض الألسنة التابعة لقبائل العرب، ولم تخرج عن كونها أصواتاً تنوعت بتنوع آليات نطقها، من خلال سعة الجهاز النطقي وقدرته على توليد أصوات إضافية عبر المخارج الرئيسة[xxxi].

إنّ هذه الحروف التسعة والعشرين قد تلحقها ستة أحرف تتفرع عنها حتى تكون خمسة وثلاثين حرفاً وهذه الستة حسنة يؤخذ بها في القرآن وفصيح الكلام، وهي النون الخفيفة، ويقال الخفية، مثل(عنْك)، والهمزة المخففة، نحو(أ أنت)، وألف التفخيم مثل (الصلاة)، وألف الإمالة مثل(عالم)، والشين مثل(أشدق) التي كالجيم، والصاد مثل(مصدر) التي كالزاي[xxxii]، فهي حسنة في الاستعمال، وليست حسنة بالمعنى الدقيق.

وللتفريق بين الأصوات الأصلية والأصوات الفرعية، أن الصوت اَلي له أثر في معنى الكلمة التي يدخل هو في تركيبها، بحيث إذا نزع منها وحل محله أصلي آخر تغير المعنى؛ مثل(عاد)، فعند حذف الألف ونضع مكانها الياء لتصير(عيد)، فنجد تغير المعنى مع كل صوت، الذي يسمى ((الفونيم)) وبذلك تكون الالف والياء أصوات أصلية في العربية.

أما الأصوات الفرعية فهي بخلاف ذلك فبتغير الألف في (عاد) إلى ألف إمالة ليقصر(عِاد)، نجد أن معنى الكلمة لم يتغير. وبهذا نحكم أن صوت الإمالة فرع من صوت الفتح، وليس أصلاً في ذاته[xxxiii].

صفات الأصوات:

تنقسم أصوات اللغة على قسمين رئيسين:

الأول: الصامتة. ، **الثاني:** اللينة.

القسم الأول: الأصوات الصامتة:

ذكر السيوطي أن فائدة الصفات تكون في أمرين، أحدهما، لأجل الإدغام، ليعرف ما يدغم من غيره لقربه منه في المخرج والصفة، أو في أحدهما، وما لا يدغم لبعده منه في ذلك ، والثانية: بيان الحروف العربية، حتى ينطق من ليس بعربي بمثل ما ينطق به العربي[xxxiv].

إنّ أهمية المخرج الصوتي يوازي صفته، ((فلا يكفي لمعرفة الحرف وتمييزه تحديد المخرج وحده، دون علامة ثانية هي صفة الحرف))[xxxv]، فقد لاحظنا أن كثيراً من الحروف تشارك غيرها في المخرج، فنجد الحرفين والثلاثة تخرج من مخرج واحد ولولا الكيفيات التي تصاحب إنتاج كل صوت لما تميزت تلك الحروف المشتركة في مخرج واحد، وهي التي سماها علماء العربية بصفات الحروف[xxxvi]، فالمخرج الصوتي وصفته يحددان هوية الصوت النهائية. وانطلاقاً من هذه الأهمية اهتم علماء العربية، ولاسيما علماء التجويد والقراءات القرآنية بهما[xxxvii].

وأبرز الصفات التي اتخذت معياراً للتفريق بين الأصوات هي:

١. الجهر والهمس:

الصوت المجهور عند سيبويه: حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت. والحروف التي تتصف بهذه الصفة هي: الهمزة والألف والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاي والظاء والذال والباء والميم والواو، ومجموعها تسعة عشر حرفاً[xxxviii]، ويزاد عليها الصوائت القصيرة (الضمة والفتحة والكسرة): لتصير اثنين وعشرين[xxxix].

وهي التي يسميها الأوربيون الآن(Voiced) فيما عدا القاف والطاء، فقد عدت من المجهورات، في حين أثبتت التجارب الحديثة خلو هذين الصوتين من صفة الجهر[xl]، وعلل بعض المحدثين الخلاف حول الصوتين من تقدير القدماء الخاطئ للموضع الدقيق لهذين الصوتين، أو اختلاف نطقهما في القديم عن النطق الآن، فلربما قصدوا بنطق القاف

(بالجاف)، أو ما يشبه الكاف الفارسية، أو طاء مشربة بالتهميز [xli].

ومعنى قول سيبويه(إشباع الاعتماد) أي أن الصوت المجهور صوت متمكن مشبع فيه، وفيه وضوح وقوة، والمجهورات أقوى صوتاً من المهموسات[xlii].

وبعض المجهورات أقوى من بعض على قدر ما فيها من الصفات القوية، ولقبت بالجهر لان الجهر هو الصوت الشديد القوي، فلما كانت في خروجها كذلك لقبت به، لان الصوت يجهر بها[xliii].

والجهر هو: اقتراب الوترين الصوتيين بعضهما من بعض في أثناء مرور الهواء وفي أثناء النطق، فيضيق الفراغ بينهما بحيث يسمح بمرور الهواء ولكن مع إحداث اهتزازات، وذبذبات منتظمة لهذه الأوتار [xliv].

والأصوات المجهورة أوضح في السمع من الأصوات المهموسة، وقد برهن الاستقراء أن نسبة شيوعها، أربعة أخماس الكلام، في حين أن نسبة شيوع الأصوات المهموسة لا تزيد على الخُمس أو عشرين في المائة[xlv].

وقد انشطرت التسمية في الأصوات المجهورة إلى الأصوات الساكنة[xlvi]، وأصوات اللين، والأساس في التقسيم هو أساس صوتي ، فالأولى عند النطق بها ينحبس الهواء أنحباساً محكماً بما ينتج الصوت الانفجاري، أو يضيق مجراه فيحدث النفس نوعاً من الصفير أو الحفيف، على حين أن النطق بأصوات اللين.(الصوائت الطويلة والقصيرة)يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه، وبهذا عماد التقسيم بُني على نسبة الوضوح الصوتي لهما في السمع، فأصوات اللين أوضح في السمع من الساكنة.

وليست كل أصوات اللين على نسبة واحدة، في الوضوح السمعي، فالمتسعة أوضح من الضيقة، أي أن الفتحة أوضح من الضمة والكسرة[xlvii].

وقد أدى عدم الاحتكاك والاعتراض عند النطق بأصوات المد أن تكون أصواتاً موسيقية منتظمة، خالية من الضوضاء لها القدرة على الاستمرار، بخلاف الصوامت التي هي عبارة عن

ضوضاء ناتجة عن احتكاك[xlviii].

ومن الأصوات المختلف فيها في صفة الجهر هي عدّ الهمزة مجهورة وكذلك القاف والطاء وهذه الأصوات ليست كذلك عند المحدثين، فإما الهمزة عند سيبويه، فحرف مجهور لأنها ينطبق عليها حد الجهر وهو:"حرف اشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت"[xlix].

وهي عند المحدثين ليست مجهورة، وقد اختلفوا، فبعضهم قال: إنها مهموسة، لأنها تحدث بأطباق الوترين الصوتيين الواحد على الآخر، ويحول هذا الأطباق دون ارتعاش الوترين الصوتيين[l]، أما الفريق الآخر فيراها صوتاً لا مهموساً ولا مجهوراً، وحجتهم في ذلك أن الهمزة تتم بمرحلتين، الأولى: مرحلة انطباق الوترين، وفيها ينضغط الهواء من خلفها فينقطع النفس، والثانية:مرحلة خروج الهواء المضغوط فجأة محدثاً انفجاراً مسموعاً، وهاتان المرحلتان متكاملتان، والمرحلة الأولى أهم في تكوين الهمزة من الثانية، وكانت تسميتها همزة القطع لذلك، وفي هذه المرحلة يكون الوتران في وضع غير وضع الجهر والهمس معاً[li].

وعلل البعض سبب الخلاف في الهمزة، هو اتصالها المتواتر بالألف قد جعلهم يعدونها خطأً مجهورة[lii]، والآخر علل أن سبب جعلها مجهورة أنهم كانوا ينطقونها متلوة بحركة، فبدت كما لو كان هواؤها حراً طليقاً، فأثر جهر الحركة على نطق الهمزة فوصفوها هي الأخرى، بالجهر خطأ[liii].

ومن الأصوات الأخرى كذلك المختلف عليها هي:(القاف والطاء)، فهي عند القدماء صوت مجهور[liv]، أما القاف الفصحى الآن فينطق بها صوتاً مهموساً[lv].

فمن المحدثين من خطأوا القدماء في عد القاف مجهوراً[lvi]، ومنهم من اوجدوا تفسيراً لهذا الخلاف يبدأ بان العرب ربما كانوا يتكلمون عن قاف مختلفة، ليس من البعيد أنهم يقصدون بالقاف(الجاف)، أو ما يشبه الكاف الفارسية، كما يسمع الآن في صعيد مصر من حيث الأثر السمعي لا التوزيع الصوتي)[lvii]، أو انه حدث تطور صوتي للقاف، كما وصف القدماء القاف بما يشبه(الغين)في السودان وبعض أنحاء العراق[lviii].

أما الطاء فهي عند المحدثين مهموس[lix]، وسبب الخلاف أن وصف القدماء للطاء يشبه

الضاد الحديثة لدى المصريين، ولعل الضاد القديمة كانت تشبه ما نسمعه الآن في بعض البلدان. ثم تطور الصوتان فهمست الأولى وأصبحت الطاء التي نعرفها الآن[lx]، أو قد يصف القدماء طاء مشربة بالتهميز، أي بوجود عنصر الهمز فيها، كما يسمع الآن في بعض لهجات الصعيد، وفي نطق بعض السودانيين[lxi].

والهمس هو ((حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه))[lxii].ويمكن تكرير الحرف مع جري الصوت[lxiii]، والهمس كل شيء له صوت خفي[lxiv]، أو حسن الصوت في الفم[lxv]، والأصوات المهموسة عند القدماء هي:(الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والثاء والفاء)[lxvi]، وعند المحدثين بزيادة على العشرة هذه: الطاء والقاف لتصير اثني عشر صوتاً[lxvii].

وعند النطق بالمهموس((ينفرج الوتران الصوتيان بعضهما عن بعض أثناء مرور الهواء من الرئتين بحيث يسمحان له بالخروج دون أن يقابله أي اعتراض في طريقه، ومن ثم لا يتذبذب الوتران الصوتيان))[lxviii].

فمعيار الفصل بين الجهر والهمس عند القدماء هو جري النفس أو عدمه[lxix]، وعند المحدثين تذبذب الوترين الصوتيين أو عدم التذبذب[lxx].

٢. الشدة والرخاوة والمتوسطة:

الأصوات الشديدة: امتناع الصوت أن يجري في الحرف[lxxi]، والفرق بين المجهور والشديد أن المجهور يقوي الاعتماد فيه، والشديد يقوي لزومه في موضعه[lxxii]، وهي :((الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والباء))، ومثلوا لذلك بكلمة(الحج) لا يمكن مدّ الصوت عند النطق بالجيم[lxxiii] ، ويجمعها في اللفظ(أجدت طبقك)[lxxiv].

وهي عند المحدثين تسمى الأصوات الانفجارية التي تتكون ((بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع، وينتج عن هذا الحبس أو الوقف أن يضغط الهواء، ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا))[lxxv]، ولا خلاف بين القدماء والمحدثين في الأصوات الشديدة أو الانفجارية إلا في صوت(الجيم)، فهو عند المحدثين صوت مركب (انفجاري + احتكاكي)[lxxvi]. والسبب في حكم

القدماء لهذا الصوت بالشديد أنه ربما كانت الجيم تنطق في القديم بما يشبه الجيم القاهرية(g) في العامية، وهي صوت شديد انفجاري[lxxvii].

فالأصوات العربية الشديدة (الانفجارية)هي: ب/ت/د/ط/ض/ك/ق/ الجيم القاهرية. أما الجيم الفصحى فيختلط صوتها الانفجاري بنوع من الحفيف يقلل من شدتها، وهو ما يسميه القدماء بتعطيش الجيم[lxxviii].

والأصوات الرخوة عكس الشديدة ، وهي التي يجري فيها الصوت ، ومثلوا لها بالمس والرش، فتمد الصوت جاريا مع السين والشين، وحددها النحاة بثلاثة عشر صوتا هي: (الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والضاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء)[lxxix]. وهي عند المحدثين تسمى(الاحتكاكية) ، فعند ((النطق بها لا ينحبس الهواء انحباسا محكما، وإنما يكتفي بأن يكون مجراه عند المخرج ضيقا جدا. ويترتب على ضيق المجرى أن النفس في أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعا من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى))[lxxx].

وقد حصل اختلاف في(الضاد) فعدّها القدماء صوتا رخوا، وعند المحدثين (انفجاري)، وعلل بعضهم ذلك الاختلاف للتطور الحاصل في الصوت ،فالظاهر أن الذي قصده القدماء من (الضاد) كما تنطق في مصر الآن. فالضاد القديمة كانت تجمع بين ظاهرة خروج الهواء من جانبي الفم كاللام وظاهرة(الاحتكاك)[lxxxi]، والضاد في الأصل هي النظير المفخم للدال، فهي تشبه ضادنا الحالية، وحصل فيها تطور بسبب اختلاط العرب بغيرهم[lxxxii]، لذا وصفوا الضاد المولدة لا الضاد العربية الأصلية[lxxxiii]. ويظهر أن الضاد القديمة كانت عصية النطق على أهالي الأقطار التي فتحها العرب، بما يفسر تلك التسمية القديمة(لغة الضاد).

والضاد القديمة يمكن تصور نطقها بأن يبدأ المرء بالضاد الحديثة، ثم ينتهي نطقه بالظاء، ففيها شدة الضاد الحديثة، ورخاوة الظاء العربية، لذلك كان يعدها القدماء من الأصوات الرخوة، ونطق الضاد في العراق وبعض البدو يشبه إلى حدّ كبير وصف القدماء للضاد القديمة[lxxxiv].

أما الأصوات المتوسطة فهي التي جمعت بين الشدة والرخاوة، وهي:(اللام، والنون، والعين، والميم، والراء)[lxxxv]، وأضاف إليها (الألف، والواو، والياء) ويجمعها في اللفظ:(لم يرو عنا)[lxxxvi].

وهي عند المحدثين الأصوات المائعة[lxxxvii]، وحصل الخلاف بين المحدثين في صوت(العين)، فمنهم من قدم شكا في أن تكون من الأصوات المائعة[lxxxviii]، ففيها شيء من الغموض لم يتضح تفسيره بعد، فهي أقل الأصوات احتكاكاً[lxxxix]، ففيه بعد عن الأصوات الشديدة، وفيه شبهة الابتعاد عن الأصوات الرخوة وانتمائه إلى الأصوات التي يخرج هواؤها حرا، فهي تنتمي إلى (اللام والنون والميم والراء)[xc]. ومن المحدثين من حسم الأمر عن طريق ألأشعة واتضح أنّ في نطق العين تضييقا كبيرا للحلق، وبذلك جعلها صوتا رخوا لا متوسطا[xci]، ومنهم من سار بركب القدماء بجعلها متوسطة لعدم وضوح الاحتكاك عنده وضوحاً سمعيا[xcii]، وحاول بعضهم تقديم الدليل على أنها من الأصوات المتوسطة من خلال المقارنة (بالهمزة والحاء والعين) في(أرجئ، وأرجح، وأرجع)، فنحس بشدة الهمزة، وبسهولة جريان الصوت في الحاء الرخوة، أما العين فلا يجري النفس بها بسهولة كجريانه في الحاء، فهي بين الهمزة الشديدة والحاء الرخوة[xciii].

والمقارنة وحدها غير كافية في جعلها متوسطة، وإنّ سيبويه وصف العين بأنها مترددة لأنها أشبهت الحاء[xciv]، وما دامت (العين والحاء) فيهما شبه وهو صفة الرخوة(الاحتكاكية) فإنهما تنضمان تحت مظلة ضيق المجرى الصوتي عند النطق بهما، والنتيجة يكونان من الأصوات الرخوة، وإن كانت النسبة تختلف بين الصوتين في الاحتكاك.

٣. الاستطالة:

ويقصد بها استطالة مخرج الصوت فيتصل بمخرج صوت آخر، وخص القدماء الضاد والشين بهذه الصفة[xcv].

وتعني عند المحدثين الاستطالة امتداد الصوت على طول اللسان، ووصفه بعضهم بأنه انحراف صوت الضاد، وتشمل هذه الصفة عندهم (الضاد) القديمة فقط،(الصوت الاحتكاكي الجانبي)[xcvi]. وهي عند علماء التجويد كذلك،((والمستطيل حرف واحد، وهو الضاد))[xcvii]. ولكن بعض المتأخرين منهم قال:إنّ الاستطالة تختص بالضاد، والشين المستطيلة أيضا للتفشي

بوجود صلة بين الاستطالة والتفشي أنهما يحتاجان إلى زمن لنطقهما أكثر من بقية الحروف الجامدة الرخوة، ولكن لا يبلغان زمن الصوت الممدود[xcviii].

٤. التفشي:

وصف سيبويه(الشين) بالتفشي[xcix]، ومعناه :انتشار الصوت في الفم لرخاوته[c]. وذكر بعضهم الضاد لاستطالتها[ci]، وقال ابن مريم الشيرازي:إنّ التفشي موجود في(الميم والفاء والراء) إضافة إلى الشين؛ لأنها مقاربة للشين ففيها غنة ونفش وتأفف وتكرار؛ لأنها تتفشى حتى تصل إلى مخارج الباقية[cii]، ومنهم من أوصل التفشي إلى ثمانية حروف هي: (الميم، والشين، والفاء، والراء، والثاء، والصاد، والسين والظاد)[ciii].

ولعل عدم اهتمام الباحثين بصفة(التفشي) أنها ليست مميزة للأصوات ، إنما هي خصيصة تعريفية للصوت. فهو انتشار في هواء الصوت والمخرج حتى يتصل بالمخارج الأخرى[civ].

٥. الصفير:

ذكر سيبويه الأصوات التي تحوي هذه الصفة وهي:(الصاد، والسين، والزاي)[cv]، وهي تنسل انسلالا[cvi]. وسميت بهذه التسمية لأنها يصفر بها، والصفير حدة الصوت[cvii]، وتسمى هذه الأصوات الحروف الأسلية لأنها تخرج من أسلة اللسان[cviii].

وعند علماء التجويد أن هذه الأصوات يخرج معها الصوت عند النطق بها شبيه بالصفير، وهو من علامات القوة، والصاد أقواها للإطباق والاستعلاء، والزاي تليها للجهر فيها، والسين أضعفها للهمس فيها[cix].

وعلل المحدثون نشوء الصفير من قوة الاحتكاك ،((وسميت صفيرية لقوة الاحتكاك معها. والسبب في قوة الاحتكاك هو أن نفس المقدار من الهواء مع الثاء يجب أن يمر مع السين خلال منفذ أضيق))[cx]،((فدرجة الانفتاح معها أضيق، وهذا يؤدي إلى ارتفاع في صوت الحفيف الحادث من الاحتكاك حتى يغدو صوتا يشبه الصفير الحاد))[cxi].

٦. القلقلة:

أطلقت هذه الصفة على أصوات:(القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء)، والذي

يجمعها:(قطب جد)، ووصفها سيبويه بالحروف المشربة((واعلم أن من الحروف حروف مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلة،.... تقول الحِـذقْ، فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصويت، لشدة ضغط الحرف))[cxii].

والتسمية جاءت بحروف القلقلة من مبنى اللفظ: قلقل الشيء قلقلة إذا حركه[cxiii]، أو بسبب الصفة التي تجتمع عليها حروف القلقلة؛ لأن الصوت يشتد عند الوقف عليها، فهي حروف شديدة[cxiv]، وهي عند المحدثين(انفجارية).

وهناك مراحل وحالات ينبغي توافرها لتكون هناك قلقلة وهي:

أ . في حالة الوقف.

ب . حبس الهواء بصورة تامة.

ج . إطلاق الصوت.

د . مع الإطلاق إتباعه بصويت أو حركة خفيفة فتنتقل من السكون إلى شبه تحريك[cxv].

وقيل ((أصل هذه الصفة القاف؛ لأنه حرف لا يُقدر أن يؤتى به ساكنا إلا مع صوت زائد لشدة استعلائه، وأشبهه في ذلك أخواته وقال الخليل: القلقلة شدة الصياح، وقال: اللقلقة شدة الصوت))[cxvi].

وعند القدماء أن حروف القلقة جمعت الشدة والجهر، فالشدة تمنع أن يجري صوتها، والجهر يمنع النفس أن يجري معها[cxvii]. وإطلاق صفة الجهر على هذه الأصوات كلها لم يقبله بعض المحدثين.فالقاف والطاء مهموستان بحسب نطق بعض اللهجات العربية لها[cxviii].

وزعم بعضهم ((أن الضاد والزاي والذال والطاء منها لثبوتها وضغطها في مواضعها. إلا أنها وإن كانت مشربة في مخارجها، فإنها غير مضغوطة كضغط الحروف الخمسة المذكورة[cxix].

٧. التكرير:

التكرير أو التكرار صفة اختص بها صوت الراء، فهو ((حرف شديد جرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى الصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجرِ الصوت فيه، وهو الراء))(cxx)، وعندما تنطق بالراء تحس((كأنها مضاعفة، والوقف يزيدها إيضاحا))(cxxi)، ويتعثر طرف اللسان عند النطق به(cxxii)، كأنه يرتعد وأوضح ما يكون التكرير إذا كانت الراء مشددة، أو في حالة الوقف(cxxiii).

فالتضعيف للراء يزيد من الضربات المتكررة له، وفي حالة الوقف يختلف عنه في حالة النبر وكون الراء في بداية اللفظة ، ففي الوقف تحس بضيق مع وقفة في التكرار في حين لو كانت الراء في بداية اللفظة يكون التكرار أوضح. وذلك لوجود النبر، الذي يكون عاملا مساعدا في الوضوح الصوتي له.

واختلف في صفة التكرير ألازمة للراء (ذاتية) أم لا؟، فمنهم من قال بالحكم الأول متخذين من قول سيبويه دليلا على ذلك(cxxiv)، ومنهم من ذهب إلى أنه لا تكرير فيها مع تشديدها(cxxv).

واختار ابن الجزري الاعتدال بين ترعيد اللسان وعدم إخفائها بعدم التكرير((وقد توهم بعض الناس أن حقيقة التكرير ترعيد اللسان بها المرة بعد المرة، فأظهر ذلك حال تشديدها، كما ذهب إليه بعض الأندلسيين، والصواب التحفظ من ذلك بإخفاء تكريرها، كما هو مذهب المحققين، وقد يبالغ قوم في إخفاء تكريرها مشددة... فيجب أن يلفظ بها مشددة تشديدا ينبو به اللسان نبوة واحدة وارتفاعا واحداً من غير مبالغة في الحصر والعسر))(cxxvi)(cxxvii).

وقد علل المحدثون حدوث التكرار ،((لأن التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا يتكرر في النطق بها، كأنما يطرق طرف اللسان بحافة الحنك طرقا لينا يسيرا مرتين أو ثلاثا))(cxxviii)، فتتكرر ضربات اللسان على اللثة تكرارا سريعا، فيكون اللسان مسترخيا في طريق الهواء الخارج من الرئتين(cxxix)، فيتمثل في عدة نزات وارتعاشات في طرف اللسان(cxxx).

٨. الانحراف:

صفة اختصت بها اللام،((المنحرف، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام، وإن شئت

مددت فيها الصوت، وليس كالرخوة؛ لأنّ طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه))[cxxxi].

وعلة التسمية لوجود الانحراف عن مخرجها إلى مخرج غيرها وعن صفتها إلى صفة غيرها، أو لأنها شاركت أكثر الحروف في مخارجها[cxxxii].

ومنهم من أضاف الراء في صفة الانحراف، وهم الكوفيون[cxxxiii]، وبعض علماء التجويد[cxxxiv]معتمدين على أمرين: الأول: صفة سيبويه للراء بانحرافه إلى اللام[cxxxv]، على حين أن سيبويه قد فرّق من خلال نعته للام بالمنحرف والراء بالمكرر. والآخر: بسبب انحراف الراء عن مخرج النون الذي هو أقرب المخارج إليه إلى مخرج اللام[cxxxvi].

والظاهر أن عدّ الراء ضمن صفة الانحراف أمر يجانب الدقة ذلك أن ما يتمتع به صوت اللام من وجود ((عقبة في وسط الفم تمنع مرور الهواء منه، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبي الفم، أو من أحدهما))[cxxxvii]. فالعقبة ليست موجودة مع الراء بوجود شيء من الاحتباس الصوتي عند النطق باللام.

٩. الإطباق والانفتاح والاستعلاء والتسفل:

صفتان متقابلتان، والضد ناشئ من اختلاف حركة اللسان، فالصفة الأولى تمثل الأصوات القوية، والثانية الأصوات الضعيفة، وقد وصف سيبويه هاتين الصفتين بقوله:((ومنها المطبقة والمنفتحة،فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء. والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تطبق بشيء منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى.

وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف... ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً والصاد سينا، والظاء ذالا. ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس من موضعها شيء غيرها))[cxxxviii].

هذا يعني أن الطاء تقابل الدال في الجهر، وهي عندنا الآن صوت مهموس، ويبدو أن تطورا حصل في النطق، وكذلك في الضاد[cxxxix]، فالحروف المطبقة هي حروف محصورة عكس المنفتحة.

وقد وصف بعض المحدثين حالة النطق للسان بهذه الأصوات ، إذ ينطبق على الحنك

الأعلى آخذا شكلا مقعراً، والعوامل لمشتركة التي تجمع هذه الأصوات هو اتحاد المخرج، والشدة(الانفجار)[cxl].

فالفارق الرئيس بين المطبقة والمنفتحة أن الأولى ينطبق اللسان فيها على الحنك عند اللفظ بها، والثانية عدم انطباق اللسان بشيء منها عند النطق بها[cxli]، فهي غير محصورة بل ينفتح ما بينهما ويخرج مجرى الهواء عند النطق بها.

على أن درجة القوة في أصوات الإطباق تختلف ((فالطاء أقواها في الإطباق وأمكنها لجهرها وشدتها، والظاء أضعفها في الإطباق لرخاوتها وانحرافها إلى طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، والصاد والضاد متوسطتان في الإطباق))[cxlii].

وهناك نظير للإطباق والانفتاح، هو (الاستعلاء والتسفل) فحروف الاستعلاء سبعة هي: ((الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والقاف، والخاء... حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى))[cxliii]، وهذه الحروف مانعة للإمالة.

ولم يذكر سيبويه تحديدا للاستعلاء والتسفل عند حديثه عن مخارج الحروف والصفات، إلا أنه كان يذكر مصطلح (التصعد) بدلا من(الاستعلاء)[cxliv]، وقد وضح النحاة من بعد سيبويه هاتين الصفتين كالمبرد[cxlv]، وابن جني وغيرهما:((وللحروف انقسام آخر إلى الاستعلاء والانخفاض. فالمستعلية سبعة...وما عدا هذه الحروف فمنخفض، ومعنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، وقد ذكرناها. وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها))[cxlvi].

أما الأصوات المستفلة (المنخفضة) فالنطق بها يكون خلاف النطق بالمستعلية، وذلك بنزول مؤخر اللسان إلى قاع الفم، وهي ما عدا الأصوات المذكورة[cxlvii].

وهناك عوامل اشتركت بها حروف الإطباق مع الاستعلاء، منها: وضع اللسان في أثناء النطق بها، وهي صفة التفخيم الصوتي، وكلاهما من علامات القوة للأصوات. وتختلف في أن حروف الإطباق تجتمع على المخرج الصوتي والشدة، على حين أن حروف الاستعلاء اجتمعت على أنها مانعة للإمالة.

١٠. المهتوت:

اختصت (الهاء) بهذه الصفة،((ومن الحروف المهتوت وهو الهاء، وذلك لما فيها من الضعف والخفاء))[cxlviii]، وقد أضاف الخليل الهمزة،((الهتّ: شبه العصر للصوت، ويقال الهمز صوت مهتوت في أقصى الحلق، رُفّه عن الهمز صار نفسا، تحول إلى مخرج الهاء، لذلك استخفت العرب إدخال الهاء على الألف المقطوعة، يقال: أراق وهراق))[cxlix].وسمي الهمز((المهتوت من الهت وهو عصر الصوت لأنها معتصرة كالتهوع، أو من الهت وهو الحطم ولكسر))[cl]، ومنهم من وصف(التاء) بهذه الصفة لخفائها[cli] ولضعفها[clii].

وبالموازنة بين الآراء المارة الذكر أن سبب اختصاص (الهاء) بهذه الصفة هو لوجود الضعف والخفاء، إذ هي من الحروف الخفية. ولكن الغريب اعتماد القاعدة الصوتية تلك باحتواء (التاء) ليمثل هذه الصفة، وهو الصوت الانفجاري.

والهاء((صوت رخو مهموس، عند النطق به يظل المزمار منبسطاً دون أن يتحرك الوتران الصوتيان، ولكن اندفاع الهواء يحدث نوعا من الحفيف يسمع في أقصى الحلق أو داخل المزمار، ويتخذ الفم عند النطق بالهاء وضعا يشبه الوضع الذي يتخذه عند النطق بأصوات اللين))[cliii]. فلا يمر الهواء من الأنف ولا يتذبذب الوتران الصوتيان[cliv]، لذلك عدوا الهاء مع أصوات اللين والمد من الأصوات الخفية[clv].

القسم الثاني: **الأصوات اللينة**:

وتشمل حروف الواو والياء والألف، وسميت بحروف اللين والمد؛ لأن ((مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما. كقولك:وأيّ، والواو، وإن شئت أجريت الصوت ومددت. ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو ، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك وهي الألف))[clvi].

فكل حرف مد لين وليس العكس،((ويصدق اللين على حرف المد، فيقال:حرف مدّ ولين بخلاف العكس، فلا يوصف اللين بالمد على ما اصطلحوا عليه فبينهما مباينة حينئذ، وإن تساويا من حيث قبول حرف اللين للمدّ))[clvii].

فهناك فرق بين الواو والياء من جهة، والألف من جهة أخرى، في أن الصوت الأخير أكثر انفتاحا في مجرى الهواء، بسبب عدم وجود حوائل تصده من خلال عدم اقتراب الشفتين، أو عدم رفع اللسان. وتجتمع الثلاثة بعدم جود حوائل تمنع أو تصد مجرى الهواء عند النطق بها،((والألف التي هي أمكن حروف اللين))[clviii].

وتسمى (الألف) الحرف الهاوي((لأنه اتسع به هواء الصوت عندما ارتفع))[clix]، فهو أشد امتدادا وأوسع مخرجا[clx]، وهو راجع إلى الصوت الهاوي، فيكون فيه الفم مفتوحا، لذلك اتسع هواء صوته[clxi]، فهو((يهوي في الفم فلا يعتمد اللسان على شيء منها))[clxii]. فيكون اللسان معه ممتدا[clxiii].

وهذه الحروف الثلاثة هي ((أخفى الحروف لاتساع مخرجها، وأخفاهن وأوسعهن مخرجا الألف ثم الياء ثم الواو))[clxiv]. وتسمى حروف المد واللين ، والحروف الهوائية ، والخفية، فأما التسمية الأولى فتكون في الألف، والواو الساكنة، التي قبلها ضمة، والياء الساكنة التي قبلها كسرة، وسميت بذلك لأن الصوت يمتد بها ويلين. وحرفا اللين: الياء الساكنة التي قبلها فتحة، والواو الساكنة التي قبلها فتحة، وسبب تسميتهما بأنهما تخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان.

وسبب تسميتها بالهوائية لأن عمدة خروجها من هواء الفم. وسميت بالخفية لأنها تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها، مع إضافة الهاء[clxv].

والحركات أبعاض حروف المد واللين((الحركات أبعاض حروف المد واللين. وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو))[clxvi]. والخلاف بين العلل الطويلة والعلل القصيرة يكون في الكمية، والكيفية، باختلاف موقع اللسان بينهما[clxvii].

والدرس الصوتي القديم يقوم على احتساب أصوات المد واللين القصيرة حروفا كالكاف والتاء والباء، كما صرح بذلك سيبويه:((حرف اللين الذي هو حرف الإعراب))[clxviii]، وما قرره ابن جني[clxix]. وأصوات المد في الدرس الصوتي الحديث((صوائت طويلة لا تكون إلا قمما للمقاطع وما يكون قمة مقطع لا يكون إلا صائتا))[clxx].

ثم بنى الدرس القديم على وجود حركة قبل حرف المد من جنسه. والدرس الحديث لا

يقول بوجود حركة قبل حركة المد، فالمقطع الصوتي لا تكون فيه قمتان، والقول بوجود هذه الحركة يؤدي إلى القول بوجود قمتين، وهو أمر لا تقره الدراسة الصوتية الحديثة[(clxxi)]. فلا وجود لهذه الحركات القصيرة في تلك المواضع، فالتاء في(كتاب) محركة بألف المد وحدها، والراء في(كريم) محركة بياء المد وحدها، والقاف في(يقول) محركة بواو المد وحدها[(clxxii)].

وأصوات اللين في كل لغة كثيرة الدوران والشيوع[(clxxiii)]، ويبدو أن كثرة شيوعها يعود إلى عدم التكلف في نطقها، والمتكلم ميال إلى السهولة النطقية تحت تأثير نظرية السهولة والشيوع. أو للوضوح السمعي لها الذي يحقق غاية المتكلم في التأثير في المتلقي بصور أكثر وضوحا ويسرا.

وأصوات اللين ليست على درجة واحدة من الوضوح،((فأصوات اللين المتسعة أوضح من الضيقة، أي أن الفتحة أوضح من الضمة والكسرة))[(clxxiv)].

هوامش البحث:

[(i)] **اللسان، تاج العروس(خرج).**

[(ii)] **الأصوات اللغوية، أنيس: ١٢٤.**

[(iii)] **المدارس الصوتية عند العرب: ١٠٦-١٠٧.**

[(iv)] **العين: ١/٥٧.**

[(v)] **مخارج الحروف، ابن الطحان: ١١٣.**

[(vi)] **كتاب سيبويه: ٤/٤٣٣-٤٣٤.**

[(vii)] **شرح الشافية: ٣/٢٥٤.**

[viii] الارتشاف:٥/١، الهمع:٢٢٨/٢، الإقناع في القراءات السبع:١٧١/١، الإتقان:٢٦٧/١.
[ix] الإتقان:٢٦٧/١.
[x] الإيضاح في شرح المفصل:٤٨٠/٢.
[xi] سر صناعة الإعراب، هنداوي:٤٦/١.
[xii] دروس في علم أصوات العربية:٢٢.
[xiii] علم اللغة العام، الأصوات:٨٩.
[xiv] علم اللغة العام، الأصوات:٨٩.
[xv] م.ن:٩٠.
[xvi] م.ن.
[xvii] م.ن.
[xviii] دروس في علم أصوات العربية:٢٢-٢٣.
[xix] علم اللغة العام، الأصوات:٨٩-٩٠.
[xx] دراسة الصوت اللغوي:٩٧.
[xxi] في البحث الصوتي عند العرب:٢٥، المدخل إلى علم اللغة، عبد التواب:٤٢-٥٦.
[xxii] ينظر: علم اللغة العام، الأصوات:٩٤.
[xxiii] المدارس الصوتية: ١٠٧-١٠٨.
[xxiv] الإتقان: ٢٦٧/١-٢٦٨.
[xxv] الإتقان:٢٦٨/١-٢٦٩.
[xxvi] المدارس الصوتية:١٠٧.
[xxvii] التمهيد في علم التجويد:١٠١.
[xxviii] لسان العرب:(حيو).
[xxix] العين(باب العين مع الحاء والهاء والخاء).
[xxx] التمهيد في علم التجويد:١٠٢.
[xxxi] المدارس الصوتية:١١٠.
[xxxii] ينظر:الكتاب:٤٣٢/٤، سر صناعة الإعراب:٤٦/١.
[xxxiii] المحيط: ٣٩/١- ٤٠.
[xxxiv] همع الهوامع:٤٩٤/٣.
[xxxv] التطور النحوي:١٣.
[xxxvi] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:٢٢٧.
[xxxvii] المدارس الصوتية:١١٣.
[xxxviii] كتاب سيبويه:٤٣٣/٤، همع الهوامع :٤٩٤/٣.
[xxxix] دراسة الصوت اللغوي٢٧٧.
[xl] الأصوات اللغوية: ١٩٩-١٢٤.

(xli) علم الأصوات: ١٠٣،١١٠، دروس في علم أصوات العربية:٣٥.

(xlii) الأصوات اللغوية:١١٩.

(xliii) ينظر: التمهيد في علم التجويد:٨٦-٨٧

(xliv) علم الأصوات:٨٧، المحيط:١/١٣-١٤.

(xlv) الأصوات اللغوية:٢١، ٢٧.

(xlvi) تسمى أيضا الصوامت أو الحروف (ينظر: دراسة الصوت اللغوي: ١١٣)، علم اللغة العام (الأصوات):٧٥، الأصوات اللغوية:٢١).

(xlvii) دراسة الصوت اللغوي: ١١٤-١١٥، الأصوات اللغوية:٢٦-٢٧.

(xlviii) م.ن: ١٩، مناهج البحث في اللغة:٥١.

(xlix) كتاب سيبويه:٤/٤٣٣.

(l) دروس في علم أصوات العربية:١٢٣، المنهج الصوتي:١٧٢.

(li) علم اللغة العام(الأصوات):١١٢، مصطفى جمال الدين جهوده وظواهر لغوية في شعره:٨٨-٩٢.

(lii) دروس في علم أصوات العربية:٣٥.

(liii) علم اللغة العام (الأصوات):١١٥.

(liv) كتاب سيبويه:٤/٤٣٤.

(lv) الأصوات اللغوية:٨٤، دروس في علم أصوات العربية:١٠٧.

(lvi) مناهج البحث في اللغة:٩٦، علم اللغة العام(الأصوات):١١٠.

(lvii) علم اللغة العام(الأصوات):١١٠.

(lviii) الأصوات اللغوية:٨٤.

(lix) م.ن:٦٢، دروس في علم أحداث العربية:٣٥.

(lx) الأصوات اللغوية:٦٢.

(lxi) علم اللغة العام(الأصوات):١٠٣.

(lxii) كتاب سيبويه:٤/٤٣٤، سر صناعة الإعراب:١/٦٠.

(lxiii) سر صناعة الإعراب:١/٦٠.

(lxiv) لسان العرب(هسس)، و(وسس).

(lxv) العين(هـ م س).

(lxvi) دروس في علم أصوات العربية:٣٥، علم اللغة العام(الأصوات):٨٧.

(lxvii) ينظر: علم اللغة العام(الأصوات):٨٧.

(lxviii) م.ن:٨٧.

(lxix) كتاب سيبويه:٤/٤٣٤.

(lxx) علم اللغة العام(الأصوات):٨٧.

(lxxi) كتاب سيبويه:٤/٤٣٤.

(lxxii) همع الهوامع:٣/٤٩٤.

[lxxiii] الكتاب: ٤/٤٣٤.

[lxxiv] سر صناعة الإعراب: ١/٦١.

[lxxv] الأصوات اللغوية: ٢٣، علم الأصوات ، كمال بشر: ٢٤٧.

[lxxvi] علم اللغة العام، الأصوات: ١٢٥.

[lxxvii] م.ن: ١٢٦، الأصوات اللغوية: ٧٧-٧٨.

[lxxviii] الأصوات اللغوية: ٢٣-٢٤.

[lxxix] الكتاب: ٤/٤٣٤-٤٣٥، سر صناعة الإعراب: ١/٦١.

[lxxx] الأصوات اللغوية: ٢٤.

[lxxxi] علم اللغة العام: ١٠٤-١٠٨.

[lxxxii] العربية، يوهان فك: ١٠٢-١٠٣.

[lxxxiii] علم اللغة العام: ١٠٨.

[lxxxiv] ينظر: الأصوات اللغوية: ٤٩.

[lxxxv] الكتاب: ٤/٤٣٥.

[lxxxvi] سر صناعة الإعراب: ١/٦١.

[lxxxvii] الأصوات اللغوية: ٢٤-٢٥.

[lxxxviii] م.ن: ٢٥.

[lxxxix] علم الأصوات: ٣٠٤.

[xc] م.ن: ٣٥٣.

[xci] مناهج البحث في اللغة: ١٠٢.

[xcii] التطور النحوي: ١٥.

[xciii] الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٣١٧.

[xciv] الكتاب: ٤/٤٣٥.

[xcv] الكتاب: ٤/٤٦٦، ٤٧٠، ٤٧٩.

[xcvi] علم الأصوات ، مالبرج: ١٢٠.

[xcvii] النشر: ١/٢١٤.

[xcviii] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٢٠-٣٢١.

[xcix] الكتاب: ٤/٤٤٨.

[c] الاقناع: ١/١٧٤-١٧٦.

[ci] المقتضب: ١/٢١١، إبراز المعاني: ٢/٧٥٣.

[cii] إبراز المعاني: ٢/٧٥٣.

[ciii] ينظر: التمهيد في علم التجويد: ٩٧.

[civ] البحث الصوتي عند العرب: ٥٦.

[cv] الكتاب: ٤/٤٦٤، همع الهوامع: ٣/٤٩٦.

(cvi) المقتضب: ١٩٣/١.

(cvii) الاقناع، ابن الباذش: ١٧٤/١-١٧٦، النشر: ٢١٤/١، المفصل: ٥٤٧/١.

(cviii) م.ن: ١٧١/١-١٧٣.

(cix) ينظر: التمهيد في علم التجويد: ٩١.

(cx) دراسة الصوت اللغوي: ٩٨.

(cxi) المحيط: ١٦/١.

(cxii) الكتاب: ١٧٤/٤، سر صناعة الإعراب: ٦٣/١.

(cxiii) لسان العرب(قلقل).

(cxiv) همع الهوامع: ٤٩٤/٣.

(cxv) ينظر: علم اللغة العام،الأصوات: ١١٦.

(cxvi) التمهيد في علم التجويد: ٩١.

(cxvii) إبراز المعاني: ٧٥٥/٢.

(cxviii) علم اللغة العام، الأصوات: ١١٦-١١٧.

(cxix) إبراز المعاني: ٧٥٥/٢

(cxx) الكتاب: ٤٣٥/٤.

(cxxi) م.ن: ١٣٦/٤.

(cxxii) سر صناعة الإعراب: ٦٣/١، المفصل: ٥٤٨/١.

(cxxiii) همع الهوامع: ٤٩٤/٣.

(cxxiv) النشر: ٢٠٤/١، الاقناع: ١٧٤/١-١٧٦.

(cxxv) شرح الواضحة، (المرادي): ٤٣.

(cxxvi) النشر: ٢١٨/١-٢١٩.

(cxxvii) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣١٦-٣١٧.

(cxxviii) الأصوات اللغوية: ٦٦.

(cxxix) علم اللغة العام، الأصوات: ١٢٩.

(cxxx) دروس في علم أصوات العربية: ٣٨.

(cxxxi) الكتاب: ٤٣٥/٤.

(cxxxii) همع الهوامع: ٤٩٤/٣، سر صناعة الإعراب: ٦٣/١.

(cxxxiii) م.ن.

(cxxxiv) ينظر: التمهيد في علم التجويد: ٩٥-٩٦.

(cxxxv) الكتاب: ٤٣٥/٤.

(cxxxvi) التمهيد في علم التجويد: ٩٦.

(cxxxvii) علم اللغة العام، الأصوات: ١٢٩.

(cxxxviii) الكتاب: ٤٣٥/٤.

(cxxxix) علم اللغة العام، الأصوات:١٠٥-١٠٦.

(cxl) الأصوات اللغوية:٤٧-٤٨.

(cxli) همع الهوامع:٤٩٤/٣، إبراز المعاني:٧٥٢/٢-٧٥٣.

(cxlii) التمهيد في علم التجويد:٩٠.

(cxliii) الكتاب:١٢٨/٤-١٢٩.

(cxliv) م.ن:٤٧٩/٤.

(cxlv) المقتضب:٢٢٥/١.

(cxlvi) سر صناعة الإعراب:٦٢/١، همع الهوامع:٤٩٤/٣، المفصل:٥٤٦/١، إبراز المعاني:٧٥٢/٢.

(cxlvii) المقتضب:٢٢٥/١، عمع الهوامع:٤٩٤/٣.

(cxlviii) سر صناعة الإعراب:٦٤/١.

(cxlix) العين(الهت).

(cl) همع الهوامع:٤٩٥/٣.

(cli) الشافية:١٢٤/١،٨٤.

(clii) المفصل:٥٤٨/١.

(cliii) الأصوات اللغوية:٨٨.

(cliv) علم اللغة العام، الأصوات:١٢٢.

(clv) التمهيد في علم التجويد:٩٣.

(clvi) الكتاب:٤٣٥/٤-٤٣٦.

(clvii) الاتحاف:٥٣.

(clviii) المقتضب:٢١٠/١.

(clix) الشافية:٨٤/١.

(clx) سر صناعة الإعراب:٦٢/١، الأصول في النحو، ابن السراج:٤٠٤/٣.

(clxi) إبراز المعاني:٧٥٤/٢.

(clxii) همع الهوامع:٤٩٥/٣.

(clxiii) دراسة الصوت اللغوي:٢٩٧.

(clxiv) الكتاب:٤٣٦/٤.

(clxv) التمهيد في علم التجويد:٩٣.

(clxvi) سر صناعة الإعراب:١٧/١.

(clxvii) دراسة الصوت اللغوي:٢٨٢، الأصوات اللغوية:٣٧-٣٨.

(clxviii) الكتاب:١٨/١.

(clxix) المنصف:٢٢١/١.

(clxx) أبحاث في أصوات العربية، حسام النعيمي:١٣.

(clxxi) م.ن:١٣.

(clxxii) الأصوات اللغوية:٣٩.

(clxxiii) م.ن: ٢٩.

(clxxiv) م.ن: ٢٧.

المصادر والمراجع:

١. أبحاث في أصوات العربية، د. حسام سعيد النعيمي، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ط١، ١٩٩٨م.

٢. إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر.

٣. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي(ت١١١٧هـ)، وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٤. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

٥. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، تحقيق د. رجب عثمان محمد، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

٦. الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ط٥.

٧. الأصول في النحو، أبو بكر بن السراج البغدادي(ت٣١٦هـ)، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، ١٩٧٣م.

٨. الإقناع في القراءات السبع، أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري (ت٥٤٠هـ)، تحقيق الشيخ أحمد فريد، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٩. الإيضاح في شرح المفصل، ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر(ت٦٤٦هـ)، تحقيق:د.موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٣م.

١٠. تاج العروس، السيد محمد مرتضى الزبيدي(ت١٢٠٥هـ)، دار ليبيا.

١١. التطور النحوي للغة العربية، برجستراسر، ترجمة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٣م.

١٢. التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ)، تحقيق د.علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٩٨٥م.

١٣. دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، مطابع سجل العرب، ط١، ١٩٧٦م.

١٤. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د.غانم قدوري، مطبعة الخلود، بغداد، ١٩٨٦م.

١٥. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د. حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٠م.

١٦. دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينيو، ترجمة صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث، تونس، ١٩٦٦م.

١٧. سر صناعة الإعراب، عثمان بن جني، تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٥م.

١٨. شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستربادي(ت٦٨٨هـ)، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩. شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، المرادي، بدر الدين الحسن بن قاسم(ت٧٤٩هـ)، تحقيق:د.عبد الهادي الفضلي، دار القلم، بيروت.

٢٠. العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة د.رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م.

٢١. علم الأصوات ، مالمبرج، تعريب د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، ١٩٨٥م.

٢٢. علم اللغة العام، الأصوات، د. كمال بشر، دار المعارف ، مصر، ط٥، ١٩٧٩م.

٢٣. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي ، و إبراهيم السامرائي، دار الهلال.

٢٤. في البحث الصوتي عند العرب، د.خليل العطية، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٣م.

٢٥. كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١.

٢٦. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر ، بيروت، ط١.

٢٧. المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، دار الشرق العربي، بيروت، ط٣.

٢٨. مخارج الحروف وصفاتها، أبو الأصبغ الأشبيلي المعروف بابن الطحان(ت٥٦٠هـ) ، تحقيق د. محمد يعقوب تركستاني، ط١، ١٩٨٤م.

٢٩. المدارس الصوتية عند العرب، د. علاء جبر محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.

٣٠. مصطفى جمال الدين جهوده وظواهر لغوية في شعره، تحسين فاضل عباس، المكتبة الأدبية المختصة، ط١، ٢٠٠٦م.

٣١. المفصل في صنعة الإعراب، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٣٢. المقتضب، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

٣٣. مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، ١٩٧٩م.

٣٤. النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري(ت٨٣٣هـ)، مراجعة علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

٣٥. همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق:عبد الحميد الهنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، (د.ت).